مظاهر الرحمة في توجيهات النبي صلي الله عليه وسلم للشباب

إعداد

أ. د. سليمان بن قاسم العيد

الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية

والمشرف على كرسي الملك عبد الله

بن عبد العزيز للحسبة وتطبيقاته المعاصرة

المقدمة

إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد: فإن من يبحث عن نماذج الرحمة في حياة البشر فإنه سيجد ذلك متمثلا بأبهى صورة وأكمل خلق في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشتى جوانبها، وفي هذا الحث سأتناول بإذن الله تعالى جانبا من مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب، متمثلا في مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم مع شباب الصحابة رضي الله عنهم.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى أمرين أساسيين، أولهما: مصدر نماذج الرحمة التي سيتم عرضها وهي سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنها تمثل المظاهر الحقيقة للرحمة، والمعنى الصحيح لها.

وثانيهما: يعود إلى أهمية المرحلة المعنية في هذا البحث وهي "مرحلة الشباب"، ومما لا شك فيه أن مرحلة الشباب مرحلة عمرية مهمة، فهي مرحلة تتسم بالقوة والفاعلية والإنتاجية والطموح، وهذه المرحلة عبارة عن الخط الزمني البارز في رحلة عمر الإنسان المخصوصة بالمسؤولية والمحاسبة عنها يوم العرض الأكبر على الله، كما عند الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم"[1].

([1]) أخرجه الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، حديث رقم 2416، وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وهو في سلسة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم 946.

والشباب هم عدة الحاضر وأمل المستقبل، وبهم تبنى الحضارات، ومن جانب آخر فهم أسرع فئات المجتمع تأثرا وأكثرهم استجابة للدعوات، ولذا فإن معاول الهدم والتغيير في المجتمعات تستهدف أول ما تستهدف فئة الشباب، فالشباب إذا بحاجة إلى توجيه رحيم يهديهم إلى الصلاح ويقيهم الفساد، وينتشلهم منه برحمة إن وقعوا فيه[1].

مشكلة البحث:

مرحلة الشباب مرحلة هامة وحساسة من حياة الإنسان، وتوجيههم فيها يحتاج إلى عناية واهتمام، وإن الخلل في توجيه الشباب في هذه المرحلة قد ينتج آثارا سلبية على الشباب ومجتمعاتهم، والخطأ في ذلك يحصل من عدة جوانب، ومن ضمنها الغفلة عن الرحمة بهم والشفقة عليهم حين التوجيه، وهذا الخطأ يقع فيه الكثير من المعنيين بتوجيه الشباب وتربيتهم، من آباء ومعلمين ودعاة، لذا كانت الحاجة إلى عرض شيء من مظاهر الرحمة في توجيه الشباب من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

أهداف البحث:

1. بيان حاجة الشباب إلى الرحمة في التوجيه.
2. بيان مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب.
3. إيضاح آثار الرحمة في توجيه الشباب من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

أسئلة البحث:

1. ما مدى حاجة الشباب إلى الرحمة في التوجيه.
2. ما مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب.

([1]) انظر: سليمان بن قاسم العيد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، ص 24 وما بعدها.

3. ما آثار الرحمة في توجيه الشباب من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

الدراسات السابقة: هناك كتابات كثيرة عن الرحمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في جوانب مختلفة، إلا أنني لم أجد شيئا يتناول الرحمة في توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشباب، وأقرب دراسة للموضوع هي كتاب "المنهاج النبوي في دعوة الشباب" لسليمان بن قاسم العيد، طبع الكتاب سنة 1415هـ، وأصله رسالة ماجستير في قسم الدعوة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وتناول الكتاب منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للشباب في تعليمهم العلم، وغرس الإيمان، وتعليمهم العبادات والآداب، وإعدادهم للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. وأما هذا البحث فإنه يعني بمظاهر الرحمة في التوجيهات النبوية للشباب.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث بإذن الله تعالى هو المنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

تقسيم البحث: المقدمة.

التمهيد: وفيه:

أولا: التعريف بالرحمة ومكانتها في الشرع.

ثانيا: التعريف بمرحلة الشباب وأهميتها.

المبحث الأول: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في مسائل العقيدة.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في غرس العقيدة.

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في تصحيح الأخطاء العقدية.

المطلب الثالث: مظاهر الرحمة في الوقاية من الفتن.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في العبادات.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في تعليم العبادات والحث عليها.

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في تصويب الأخطاء في العبادة.

المبحث الثالث: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في الأخلاق.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في تعليم الأخلاق الحسنة والحث عليها والتحذير من ضدها.

المطلب الثالث: مظاهر الرحمة في تصويب الأخطاء في الأخلاق

الخاتمة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أولا: التعريف بالرحمة ومكانتها في الشرع:

الرحمة في اللغة:

الرقة والتعطف. وقد رحمته وترحمت عليه. وتراجم القوم: رحم بعضهم بعضا. ورجل مرحوم ومرحم، شدد للمبالغة. والرحم: رحم الأنثى، وهي مؤنثة. والرحم أيضا: القرابة. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة[1].

الرحمة في الاصطلاح

عرفها بعض أهل العلم بقولهم: (رقة مقتضية للتعطف والتفضل، فمبدأها الرقة التي هي انفعال، ومنتهاها :العطف والتفضل الذي هو فعل)[2]، وقيل: (هي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه)[3]. والمعنيان متقاربان، إلا أن الثاني أوضح للدلالة على المراد.

مكانة الرحمة في الشرع:

الرحمة من صفات الله تعالى فهو سبحانه وتعالى (رحمن رحيم) ففي بداية كل سورة من سور القرآن– سوى سورة التوبة– يتلو القارئ هاتين الصفتين، إضافة إلى الآيات العديدة في كتاب الله سبحانه وتعالى التي جاء فيها وصفه سبحانه وتعالى بالرحمة منها قوله سبحانه وتعالى (**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**) [غافر: 7] وقوله: (**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**) [الأحزاب: 43]، وقوله:

([1]) انظر: الصحاح للجوهري، مادة [رحم]. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة [رحم]. ولسان العرب لابن منظور، مادة [رحم].

([2]) تفسير الراغب الأصفهاني 1/ 50.

([3]) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 26/ 34.

(**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**) [الأنعام: 54]. وفي الحديث: "إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة"[1]. والرحمة أيضا من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته الكرام (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**) [الفتح: 29]، وهي سبب في تأليف قلوب الناس عليه وقربهم منه صلى الله عليه وسلم (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**) [آل عمران: 159]، بل رسالته صلى الله عليه وسلم كلها رحمة للعالمين (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**) [الأنبياء] فإتباعه صلى الله عليه وسلم سبب للسعادة في الدنيا والآخرة والنجاة من الشقاء والعذاب، وهذا من أعظم الرحمة بالعباد.

كما جاء الشرع المطهر بالحث على الرحمة والثناء على أهلها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرحم شجنة[2] من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته"[3]وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان؟ قال: ما نقبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة"[4]. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم تسمى بنبي الرحمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا محمد، وأحمد، والمقفي[5]، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة"[6].

([1]) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، حديث رقم 2753.

([2]) قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، ويجوز فيها ضم السين والفتح والكسر. (انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/ 447).

([3]) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث 5988.

([4]) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث 5998.

([5]) المولي الذاهب. وقد قفى يقفي فهو مقف: يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم، فإذا قفى فلا نبي بعده. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحدث والأثر، 4/ 94).

([6]) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، حديث 2355.

ثانيا: التعريف بمرحلة الشباب وأهميتها.

كلمة (شاب) تعني في أصلها اللغوي النماء والقوة، يقول ابن فارس: "الشين والباء أصل واحد يدل على نماء الشيء وقوته"[1]. والشباب بمعنى الفتاء والحداثة، والشباب جمع شاب، وكذلك شبان وشبية، وشباب الشيء أوله، يقال لقيت فلانا في شباب النهار، أي في أوله[2].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه المرحلة من العمر في كتابه العزيز واصفا إياها بالفتوة كما في قوله عن أصحاب الكهف: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**) [الكهف: 13].

ووصفها بالقوة كما في قوله سبحانه وتعالى (**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54)**) [الروم]. ومرحلة القوة في هذه الآية التي تقع بين مرحلتي ضعف هي مرحلة الشباب.

كما وردت الإشارة إليها بصفات أخرى كالأشد، كما في قوله سبحانه وتعالى: (**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**) [الأنعام: 152].والأشد هنا الاحتلام. قال ربيعة ومالك وغير واحد من السلف[3]. وقيل: (هو بلوغ سن الرشد والقوة)[4]. وصفه الرشد وردت في قوله تعالى: (**وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**) [النساء: 6]. في هذه الآية دلالة واضحة على أن الرشد لا يكون قبل الاحتلام.

([1]) معجم مقاييس اللغة 3/ 177.

([2]) ابن منظور، لسان العرب، مادة [شبب].

([3]) تفسير الطبري، 12/ 223.

([4]) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، 8/ 167.

وفي السنة المطهرة ورد ذكر هذه المرحلة من العمر بلفظ الشباب والفتيان وغير ذلك، ومن ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[1].

ولتحديد مرحلة الشباب فهي من حيث البداية تتبين من قوله تعالى: **(وَإِذَا بَلَغَ)** [النور: 59]. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل)[2]

بالنظر إلى هذه النصوص نجد في الآية أن الإنسان سمي قبل الاحتلام طفلا، وفي الحديث نجد الإنسان يجب عليه التكليف إذا شب، والشباب يكون بالاحتلام. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب جماعة باسم الشباب حاثا لهم على الزواج، ولا يكون الزواج إلا بعد احتلام. وعلى هذا الأساس نجد أن مرحلة الشباب تبدأ بالبلوغ وهو الاحتلام.

ومن حيث نهاية المرحلة فقد ورد فيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من جعلها إلى الثلاثين، ومنهم من جعلها إلى اثنتين وثلاثين، ومنهم من جعلها إلى الأربعين، ومنه من جعلها إلى إحدى وخمسين[3].

وأما التحديد المختار لمرحلة الشباب فهو من البلوغ حتى سن الأربعين. وسبب هذا الاختيار هو أن الأصل اللغوي لكلمة الشباب يدل على أمرين: النماء والقوة. ونجد في القرآن الكريم أن سن الأربعين داخلة في هذا المعنى وأنها نهاية للنماء، كما في قوله سبحانه تعالى: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ**

([1]) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، حديث رقم 5065.

([2]) أخرجه الإمام احمد في المسند، حديث 24703. وأبو داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، حديث 4398. والترمذي، أبواب الحدود، باب فيمن لا يجب عليه الحد، حديث 1423. وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/ 64: صحيح. وهذا لفظ الترمذي.

([3]) انظر: تفسير الطبري، 12/ 222 وما بعدها. وتاج العروس 1/ 307.

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سنة) [الأحقاف: 15]. يقول ابن كثير: (إذا بلغ أشده) أي قوى وشب وارتجل... (وبلغ أربعين سنة) أي تناهى عقله وكمل فهمه[1].

كما أن مرحلة الشباب لها أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فهي مهمة لكونها بداية التكليف في حياة الإنسان، ولكونها فترة القوة والنشاط، ولكونها أفضل فترات العمر وأطولها مدة، إضافة إلى كونها الطاقة الكامنة في بناء حضارات الأمم.

(1) تفسير القرآن العظيم 4/ 158.

المبحث الأول

مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في مسائل العقيدة

المطلب الأول

مظاهر الرحمة في غرس العقيدة

رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت في جملتها رحمة للعالمين (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)**) [الأنبياء]، في كل جوانبها عقيدة وشريعة وأخلاقا، وكما تتمثل الرحمة في موضوعاتها فإن الرحمة أيضا تتمثل في أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للناس كافة، ومن ضمنهم شباب الصحابة رضي الله عنهم، ومما يمثل مظهرا من مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه– وهو أحد شباب الصحابة الكرام رضي الله عنهم– حيث يقول: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: "يا معاذ بن جبل"، قلت: لبيك رسول الله، وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "هل تدري ما حق الله على العباد؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا"، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله، وسعديك، قال: "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "أن لا يعذبهم"[1]

في هذا الموقف تتمثل رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في عدد من الأمور، أولها: قرب معاذ بن جبل رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرسول الله صلى الله عليه وسلم على

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، حديث رقم 6267. ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، حديث رقم 48.

مكانته وقدره، أعظم البشرية وسيد ولد آدم، وكل يتمنى القرب منه والحديث معه، ويكون معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو شاب من شباب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين شديد القرب منه بركوبه رديفا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد استشعر معاذ رضي الله عنه هذا القرب فقال حين ذكر الحديث (ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل).

الثاني من مظاهر الرحمة في هذا الحديث شدة عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم معاذ بن جبل رضي الله عنه، فمع قرب معاذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه صلى الله عليه وسلم يناديه كالبعيد بأسلوب ملفت للانتباه (يا معاذ بن جبل) ويكرر هذا النداء ثلاث مرات، وفي كل مرة كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول (لبيك يا رسول الله وسعديك) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسير بعدها ساعة ثم يعاود النداء، كل ذلك من أجل أن يستوعب معاذ بن جبل رضي الله عنه ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليمه إياه، وأنه ذو أهمية كبرى.

الثالث من مظاهر الرحمة في هذا الحديث هو طبيعة الموضوع الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه إنها كلمات يسيرة تختصر العقيدة: حق الله على العباد، وحق العباد على الله، فحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك فإنه لا يعذبهم.

فالنجاة من الشرك بالله تعالى توجب لصاحبها الجنة وتنجيه من عذاب النار، فعن جابر رضي الله عنه، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار"[1].

وفي مسألة من مسائل العقيدة تتعلق بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نجد أبا هريرة رضي الله عنه يسأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما روى قائلا: قيل يا رسول الله من أسعد

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث 151.

الناس بشفاعتك يوم القيام؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه"[1]. ويتمثل مظهر الرحمة في هذه الحديث في عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هريرة رضي الله عنه حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السؤال التفت إلى أبي هريرة رضي الله عنه مبينا حرصه على أبي هريرة رضي الله عنه ومثنيا عليه في ذلك، مع أن سياق الحديث لا يدل على أن أبا هريرة رضي الله عنه هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما تظهر لنا رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسائل العقيدة مع شاب آخر من شباب الصحابة رضي الله عنه وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفي بين كفيه، التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن: "التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[2]. يدل هذا الموقف على مظهر من مظاهر الرحمة في توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التشهد، فأثناء التعليم كانت كف عبد الله رضي الله عنه بين كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما كان ذلك بعد المصافحة أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكف ابن مسعود رضي الله عنه وأطبق عليها بيده الأخرى، فكانت كف ابن مسعود رضي الله عنه بين كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك يدل على تأليف ابن مسعود رضي الله عنه وشفقته عليه وحرصه على تعليمه واستيعابه ما يعلم إياه.

([1]) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث 99.

([2]) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليمين، حديث 6265.

المطلب الثاني

مظاهر الرحمة في تصحيح الأخطاء العقدية

تتمثل الرحمة أيضا في تصويب النبي صلى الله عليه وسلم لما يحصل من الخطأ في مسائل العقيدة من شباب الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وهذه الرحمة لها صور متعددة حسب الموقف، وقد يكون ظاهرها الشدة بدافعة الرحمة والشفقة على المخطئ من عاقبة ذلك الخطأ، كما حصل لأسامة بن زيد رضي الله عنه، حيث يحدثنا أسامة بن زيد رضي الله عنه عن هذا الموقف فيقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة[1]، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله" قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"[2].

وفي رواية عند مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة رضي الله عنه: "لم قتلته؟" قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلانا وفلانا، وسمى له نفرا، وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقتلته؟" قال: نعم، قال: "فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" قال: يا رسول الله، استغفر لي قال: "وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: "كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة"[3].

([1]) قبيلة من جهينة (ابن حجر، فتح الباري، 1/ 104).

([2]) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقة من جينة، حديث 4269. ومسلم، كتاب الإيمان، حديث 159.

([3]) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث 97.

تبين لنا من هذا الحديث التشديد من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد رضي الله عنه حينما قتل ذلك الرجل الذي قال لا إله إلا الله، مع مكانة أسامة رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه، إضافة إلى حداثة سن أسامة بن زيد رضي الله عنه فقد كان في بداية سن الشباب، ولنا أن نتصور أن عمر أسامة رضي الله عنه حينئذ قرابة الستة عشر عاما، فقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أسامة رضي الله عنه ثمانية عشر عاما وقيل عشرون[1]، وهذه الوقعة كانت سنة سبع أو ثمان من الهجر[2]، وكان هذا الموقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة وشفقة على أسامة رضي الله عنه من عاقبة هذا الخطأ.

وما وقع ذلك الخطأ من أسامة بن زيد رضي الله عنه إلا لكونه متأولا، قال الخطابي لعل أسامة رضي الله عنه تأول قوله تعالى: **(فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا)** [غافر: 85][3]. ولقد اعتذر أسامة بن زيد رضي الله عنه عن ما حصل منه بقوله: (كان متعوذا) فلم يقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعتذار وكرر الإنكار، فكان لهذا الموقف أثر كبير في نفس أسامة بن زيد رضي الله عنه حتى قال: (تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) قال ابن حجر: أي أن إسلامي كان ذلك اليوم؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام؛ ليأمن من جريرة تلك الفعلة، ولم يرد أنه تمنى أن لا يكون مسلما قبل ذلك. قال القرطبي: وفيه إشعار بأنه كان استصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابلة هذه الفعلة لما سمع من الإنكار الشديد[4].

([1]) انظر ترجمة أسامة بن زيد رضي الله عنه عند ابن حجر في الإصابة 1/ 31.

([2]) انظر: ابن حجر، فتح الباري 12/ 195.

([3]) المرجع السابق 12/ 196.

([4]) المرجع السابق 12/ 196.

وفي موقف آخر يرويه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه– ولقد كان شابا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم– فيقول: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس اربعوا[1] على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، ولكن تدعون سميعا بصيرا" ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: "يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة "أو قال: "ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله"[2]. وإن ما حصل في هذا الموقف من الخطأ هو رفع الصوت بالذكر والدعاء مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يشفق عليهم من ذلك، وتتمثل رحمته صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف بأمرهم بالرفق بأنفسهم وخفض أصواتهم، فإن من ينادي بالصوت العالي هو البعيد أو الأصم، والله سبحانه وتعالى ليس بأصم ولا غائب، كما بين لهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما نجد في هذا الموقف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد أبا موسى الأشعري علما آخر، فقد كان يمشي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول في نفسه "لا حول ولا قوة إلا بالله" فبين له فضل هذا الذكر ليكثر منه ويداوم عليه.

ومع البراء بن عازب رضي الله عنه حيث كان فتى شابا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه دعاء، وحينما أخطأ البراء في لفظ الدعاء كيف صوب له النبي صلى الله عليه وسلم خطأه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا أخذت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن من

([1]) أي: ارفقوا. (ابن حجر، فتح الباري، 1/ 121).

([2]) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، حديث 6384.

آخر كلامك، فإن مت من ليلتك، مت وأنت على الفطرة قال: فرددتهن لأستذكرهن فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت، قال: "قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت"[1]

وفي رواية: فطعن بيده في صدري ثم قال: "وبنبيك الذي أرسلت"[2].

فتعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع البراء رضي الله عنه في تصويب خطأه كان برقة وعطف، حتى ما ورد في الرواية الثانية أنه طعن في صدري، فلم تكن تلك الطعنة طعنة إيذاء أو عقاب إنما كانت ملاطفة للبراء رضي الله عنه.

المطلب الثالث

مظاهر الرحمة في الوقاية من الفتن

لا يسلم الإنسان في هذه الحياة من الفتن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الخوف على أمته من الفتن، فقد حذر أمته فتنة المسيح الدجال، وحذرهم فتنة يأجوج ومأجوج، وحذرهم فتنة الدنيا وفتن النساء وغيرها، والشباب أكثر تعرضا للفتن من غيرهم، وإن من الرحمة بالشباب الأخذ بأيديهم وتحذيرهم الفتن بأنواعها، وأن تبين لهم أسباب السلامة وطرائق الخلاص منها، حتى لا يقعوا فريسة لهذه الفتن التي تضر بدينهم ودنياهم.

وبين لنا الرسول الكريم صلى الله عليم وسلم أن من أسباب الوقوع في الفتن حداثة السن كما هي حال الخوارج، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول

([1]) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء 2710.

([2]) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، حديث 3394.

البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة"[1].

فهذا فيه بيان أن تلك الفئة التي تأتي آخر الزمان يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية– والعياذ بالله– هم شباب صغار السن، وفيه تحذير ضمني للشباب من الوقوع في هذه الفتنة نظرا لحداثة أسنانهم.

ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشباب في الوقاية من الفتن ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟" قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله، قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا صدق خليلي[2]. ففي هذا الحديث توجيه نبوي كريم لأبي هريرة رضي الله عنه لما يحتمل أن يواجهه في مستقبل حياته من سؤال أهل الفتن، وقد حصل هذا السؤال كما أفاد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن أبا هريرة رضي الله عنه قد استوعب الدرس وسلم من تضليل أهل الفتن بجسم الموقف وطردهم من عنده.

وقد تتمثل الفتنة في مكان من الأماكن، ولذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر أحد شباب الصحابة رضي الله عنهم من الذهاب لمواطن الفتن رحمة بهم من الوقوع فيها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه قائلا: "يا أنس، إن الناس يمصرون أمصار، وإن مصرا منها يقال له: البصرة– أو البصيرة– فإن أنت مررت بها، أو دخلتها، فإياك

([1]) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث 3611.

([2]) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث 135.

وسباخها[1]، وكلاءها[2]، وسوقها، وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة خنازير"[3]. ففي هذا الحديث تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك رضي الله عنه من الذهاب إلى مواطن الفتن طلبا للسلامة من العقوبة التي تصيب أهلها.

وقد تكون الفتن بسبب المناصب والولايات، فمن الرحمة بالشباب عدم تمكينهم منها لسلامة دينهم، ففي هذا الشأن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاب عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عن سؤال الإمارة، معللا سبب ذلك حيث قال له: "يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها"[4].

فالشاب حديث السن حين يطلب المنصب أو الإمارة وليس لها بأهل قد يكون سببا في فتنته عن دينه، بالتنازل عن شيء منه للحفاظ على هذا المنصب أو الإمارة رغبة فيها، وهنا تكون الفتنة في الدين.

([1]) الأرض السبخة هي ذات ملح لا تنبت (مرقاة المفاتيح شرح مشاة المصابيح، على الملا الهروي القاري، 8/ 3469).

([2]) كلاءها: هو الأصل شاطئ النهر، والموضوع تربط فيه السفن، ومنه سوق الكلاء بالبصرة. (انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر 4/ 194).

([3]) أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ذكر البصرة، حديث 4307. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح.

([4]) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها، حديث 7146. ومسلم. كتاب الإمارة، حديث 1652.

المبحث الثاني

مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في العبادات

المطلب الأول

مظاهر الرحمة في تعليم العبادات والحث عليها

تمثل لنا حادثة إقامة مالك ابن الحويرث رضي الله عنه ومن معه من الشباب وتعلمهم من النبي صلى الله عليه وسلم عددا من مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة، قال مالك بن الحويرث رضي الله عنه: أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم. وذكر أشياء أحفظها، أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم"[1].

يحدثنا مالك بن الحويرث رضي الله عنه في هذه الرواية عنه وعن رفاقه أنهم شباب حين قدومهم على النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (ونحن شببة متقاربون) و(شببة): جمع شاب، و(متقاربون): أي متقاربون في السن، وقيل: متقاربون في العلم أو القراءة[2]. ويخبر مالك بن الحويرث رضي الله عنه بالمدة التي قضوها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة). وفي هذه المدة التي قضاها أولئك الشباب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف لنا مالك رضي الله عنه كيف كان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم وتعليمه إياهم بقوله: (وكان رحيما

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الأذان ،باب الأذان للمسافر، حديث 631، واللفظ له. ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث 674.

([2]) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم 5/ 175. وابن حجر، فتح الباري 2/ 172.

رفيقا) هكذا في رواية البخاري، وجاء في رواية عنده الاقتصار على (رحيما) وأخر الاقتصار على (رفيقا)، وجاء في بعض الروايات (رقيقا) بقافين، كما في رواية مسلم، وجاءت بعض الروايات من دون ذكر هذا الوصف و(رفيقا) من الرفق، و(رقيقا) من الرقة، وهما متقاربان في المعنى[1]. والرفيق ضد العنيف[2]. والرقي نقيض الغليظ. قال الزمخشري: الرفق هو لين الجانب، ولطافة الفعل[3].

كما أن من مظاهر الرحمة في هذا الموقف حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مراعاة حال أولئك الشباب، يتضح هذا من قول مالك رضي الله عنه: (فلما ظن أنا اشتهينا أهلنا) وجاء في رواية عنده: (فلما رأى شوقنا)[4]، وأهلنا جمع أهل. والمراد بأهل كل منهم زوجته أو أعم من ذلك[5]، فإن كان المراد بالأهل الزوجات فإن الشباب أشوق من غيرهم إلى زوجاتهم، لما فيهم من دافع الغريزة. وحين علم صلى الله عليه وسلم شوقهم إلى أهليهم من رحمته بهم وشفقته عليهم أمرهم قائلا: (ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم) وفي رواية (لو رجعتم)[6]، ويمكن الجمع بينهما، بأن يكون عرض ذلك عليهم على طريق الإيناس، بقوله: لو رجعتم، إذ لو بدأهم بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم، فأمرهم حينئذ بقوله: ارجعوا[7]. وجاء في الحديث عدد من التوجيهات لأولئك الشباب وهي:

([1]) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم 5/ 175. وابن حجر، فتح الباري 13/ 236.
([2]) الجوهري، الصحاح، مادة [رفق] 4/ 1482.
([3]) أساس البلاغة ص 357.
([4]) الرواية عند البخاري، كتاب الأذن ،باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد ،حديث 628.
([5]) انظر: ابن حجر ،فتح الباري 13/ 236.
([6]) الرواية عند البخاري، كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم، حديث 685.
([7]) ابن حجر، فتح الباري 2/ 171.

التوجيه الأول: تعليم الأهل

وذلك في وصيته صلى الله عليه وسلم لهم إلى أهليهم بقوله: (وعلموهم، ومرورهم) بصيغة الأمر، ضد النهي، والمراد به أعم من ذلك؛ لأن النهي عن الشيء أمر بفعل خلاف ما نهى عنه اتفاقا، وعطف الأمر على التعليم لكونه أخص منه، أو هو استئناف، كأن سائلا قال: ماذا نعلمهم؟ فقال: مروهم بالطاعات، وكذا، وكذا، ووقع في رواية للبخاري: "مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا"[1] فعرف بذلك المأمور المبهم في الروايات الأخرى[2].

ودلت النصوص على أن مالك بن الحويرث رضي الله عنه علم أناسا من قومه كيفية الصلاة، تنفيذا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي قلابة رضي الله عنه قال: "جاءنا مالك بن الحويرث، فصلى بنا في مسجدنا هذا، فقال: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، ولكن أريد أن أريكم كيف رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي. قال أيوب فقلت لأبي قلابة :وكيف كانت صلاته؟ قال: مثل صلاة شيخنا هذا، يعني عمرو بن سلمة. قال أيوب: وكان ذلك الشيخ يتم التكبير، وإذا رفع رأسه عن السجدة الثانية جلس واعتمد على الأرض، ثم قام"[3]

التوجيه الثاني: الصلاة كما تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك في قوله: (وصلوا كما رأيتموني أصلي) فهذا خطاب لمالك وأصحابه رضي الله عنه، بأن يوقعوا الصلاة على الوجه الذي رأوا النبي صلى الله عليه وسلم عليه وشاركهم في هذا الخطاب كل الأمة في أن يوقعوا الصلاة على ذلك الوجه[4]. قال الشوكاني: "الحديث يدل على وجوب جميع ما

([1]) الرواية عند البخاري، كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم، حديث 685.

([2]) انظر: ابن حجر، فتح الباري 13/ 236.

([3]) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح ،كتاب الأذان، رقم الحديث 824.

([4]) انظر: ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام 1/ 216. وابن حجر، فتح الباري 13/ 236.

ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصلاة، من الأقوال' والأفعال، ويؤكد الوجوب كونها بيانا لمجمل قوله: (أقيموا الصلاة) وهو أمر قرآني يفيد الوجوب، وبيان المجمل الواجب واجب، كما تقرر في الأصول، إلا أنه ثبت أنه صلى الله عليه اقتصر في تعليم المسيء صلاته على بعض ما كان يفعله ويداوم عليه، فعلمنا بذلك أنه لا وجوب لما خرج عنه من الأقوال والأفعال، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، كما تقرر في الأصول بالإجماع، ووقع الخلاف إذا جاءت صيغة أمر بشيء لم يذكر في حديث المسيء، فمنهم من قال: يكون قرينة تصرف الصيغة إلى الندب، ومنهم من قال تبقى الصيغة على الظاهر، الذي تدل عليه، ويؤخذ بالزائد فالزائد"[1].

التوجيه الثالث: الأذان للصلاة

قوله: (فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم) أي دخل وقتها[2]، و هو أمر لهم بالأذان للصلاة إذا دخل وقتها.

التوجيه الرابع: الإمامة لصلاة الجماعة

قوله: (وليؤمكم أكبركم) أمر لهم بصلاة الجماعة، وإمامهم أكبرهم في السن، لأنهم قد استووا في القراءة والعلم والهجرة .قال النووي: "وهؤلاء كانوا مستوين في باقي الخصال، لأنهم هاجروا جميعا، وصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازموه عشرين ليلة فاستووا في الأخذ عنه، فلم يبق ما يقدم به إلا السن"[3].

وقال الزين بن المنير وغيره ما حاصله: إن تساوي هجرتهم وإقامتهم وغرضهم بها مع ما في الشباب غالبا من الفهم، ثم توجه الخطاب إليهم بأن يعلموا من ورائهم، من غير تخصيص بعضهم

([1]) نيل الأوطار 2/ 195.

([2]) ابن حجر ،فتح الباري 13/ 236.

([3]) النووي، شرح صحيح مسلم 5/ 175. والعيني، عمدة القاري 5/ 212.

دون بعض، دال على استوائهم في القراءة، والتفقه في الدين، وقال ابن حجر: وقد وقع التصريح بذلك فيما رواه أبو داود من طريق مسلمة بن محمد عن خالد الحذاء عن أبي قلابة في هذا الحديث قال: "وكنا يومئذ متقاربين في العلم"[1] انتهى[2].

ويندرج تحت قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم ليؤمكم أكبركم) أمرهم بصلاة الجماعة، وذلك لأنه لو استوت صلاتهم معا مع صلاتهم منفردين لاكتفى بأمرهم بالصلاة، كأن يقول: (أذنوا وأقيموا وصلوا)،دون الأمر بالإمامة، فالإمامة لا تكون إلا بصلاة الجماعة[3]. قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة)[4].

المطلب الثاني

مظاهر الرحمة في تصويب الأخطاء في العبادة

ربما يقع الشباب في بعض الأخطاء في مسائل العبادة، وفي هذه الحال فإنهم بحاجة إلى أسلوب حكيم لتصويب ما وقعوا فيه من الخطأ، بحاجة إلى من يأخذهم بالرحمة والرفق والخشية عليهم من عاقبة تلك الأخطاء ،كما أن ما هم فيه من العاطفة والشعور بالنشاط يدفعهم إلى الحماس الزائد في طاعة من الطاعات، قد لا تكون عاقبتها في صالحهم، وهذا ما حصل من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث يقول: جمعت القرآن فقرأت به في كل ليلة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إني أخشى أن يطول عليك زمان وأن تمل، اقرأه في كل شهر" قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال "اقرأه في كل عشرين" قلت: يا رسول الله دعني استمتع من

([1]) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث 589. وقال الألباني: صحيح.

([2]) ابن حجر، فتح الباري 2/ 171.

([3]) انظر: فتح الباري 2/ 142.

([4]) شرح صحيح مسلم 5/ 175.

قوتي وشبابي، قال: "اقرأه في كل عشر" قلت: يا رسول الله دعني استمتع من قوتي وشبابي، قال: "اقرأه في كل سبع" قلت يا رسول الله دعني استمتع من قوتي وشبابي، فأبى[1].

فرحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الفتى تتمثل في الخشية والشفقة عليه من الملل والانقطاع عن العبادة، فعبد الله بن عمرو رضي الله عنه حرص على اغتنام مرحلة شبابه، مرحلة قوته ونشاطه في طاعة الله سبحانه وتعالى ومن ذلك قراءة القرآن، والشباب بطبيعتهم يأخذهم الحماس في بعض الأمور، ولكن المصطفى صلى الله عليه وسلم أدرك ما عند عبد الله من حماس الشباب واندفاعهم، وخشي عليه من الملل والانقطاع، فمن السهل أن يجتهد الإنسان في عمل من الأعمال لفترة محدودة، ولكن من الصعب عليه أن يداوم على هذا الاجتهاد. فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه عددا أكثر من الأيام ليقرأ فيها القرآن كاملا. كل ذلك رحمة به وشفقة عليه، فأعطاه شهرا، ثم عشرين، ثم عشرا، ثم سبعا، كل ذلك وعبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: (يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي ومن شبابي) والرسول صلى الله عليه وسلم يجاريه في ذلك الحوار الذي يمثل في أسلوبه جانبا آخر من جوانب الرحمة، فلم يعنف عليه ولم ينهره من كثرة مراجعته إياه.

وفي حديث آخر نجد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه حمله ما فيه من قوة الشباب والرغبة في الخير على المبالغة في الصيام والقيام فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رحمة به، عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟" فقلت :بلى يا رسول الله قال: "فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا ،وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك

([1]) أخرجه الإمام احمد في المسند، حديث 6872. وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن، حديث 1346. وصححه الألباني.

عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله" فشددت، فشدد علي قلت: يا رسول الله إني أجد قوة قال: "فصم صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه" قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: "نصف الدهر" فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم[1].

والخطأ الحاصل هنا هو التشديد على النفس مما يؤدي في المستقبل إلى عدم القدرة على المداومة عليه، إضافة إلى ما يصاحب ذلك من تضييع لحقوق أخرى للجسد والعين والزوج والضيف، كما جاء التصريح بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد دلت بعض الروايات على ما حصل من عبد الله رضي الله عنه من تقصير في حق الزوجة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: "أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته[2]، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ..."" الحديث[3]. دلت هذه الرواية على أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه حديث العهد بعرس، ولا شك أن الزوجة في هذه الحال تكون أكثر حاجة إلى زوجها، مما يتطلب من الشباب حينها مراعاة حق الزوجة، ولا يأخذهم الحماس للطاعة أو غيرها من التقصير في هذا الحق. ولذا أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله رضي الله عنه هذا الحق وحقوق أخرى كما في الحديث.

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وما هو عليه من الحماس الذي يكون سببا في إرهاق النفس وتضييع بعض الحقوق نهاه عن ذلك قائلا: "لا تفعل"

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، حديث 1975.

([2]) أي: امرأة ابنه. (ابن الأثير ،النهاية في غريب الحديث، 4/ 206).

([3]) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن ،باب في كم يقرأ القرآن، حديث 5052.

،ولم يكن ذلك النهي مجردا، بل أعطاه الأنفع له "صم وأفطر، وقم ونم" معللا ذلك بقوله: "فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا"، ومن رحمته به صلى الله عليه وسلم بين له الأثر الناتج من اجتهاده لو استمر عليه "فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك، ونفهت نفسك"[1].

ولما كبر عبد الله رضي الله عنه وضعف أدرك قيمة توجيه النبي صلى الله عليه وسلم له ،فقال متمنيا (يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم). قال ابن حجر: (ومع عجزه وتمنيه الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه، بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف، كما في رواية حصين وكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ثم يفطر بعدد تلك الأيام فيقوى بذلك وكان يقول لأن أكون قبلت الرخصة أحب إلى مما عدل به لكنني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره)[2].

وعلى نحو من هذا جاء حديث الثلاثة رهط الذين أنكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهادهم رحمة بهم ولمخالفتهم سنته، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3].

([1]) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، حديث 1153.

([2]) فتح الباري لابن حجر 4م 220.

([3]) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث 5063. ومسلم، كتاب النكاح، حديث 1401.

المبحث الثالث

مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في الأخلاق

المطلب الأول

مظاهر الرحمة في التعامل معهم

ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في تعامله مع الناس بعامة ومع الشباب بخاصة، فقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق، قال عنه ربه سبحانه وتعالى: (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)**) [القلم: 4]، وذلك مما حبب الناس إليه وألفهم عليه، وقد وصف من كانوا شبابا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاهدوه من خلقه الكريم، قال عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا"[1]، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها قالت: "لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا سخابا بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح"[2]. وكان له مع شباب الصحابة رضي الله عنهم. مواقف تبين ما كان عليه من حسن الخلق معهم صلى الله عليه وسلم، فمنها على سبيل المثال ما يأتي:

- **ملاطفتهم والرفق بهم:**

ومن ذلك ما يبينه لنا أنس بن مالك رضي الله عنه بقوله: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي، حديث 6203. ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث 659.

([2]) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي صلى الله عليه وسلم، حديث 2016. وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: "يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟" قال قلت: نعم، أنا أذهب، يا رسول الله[1]. فلم يكن ثمة تأنيب ولا تأديب ،ولكن ملاطفة ورحمة.

كما يوضح لنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه طيلة خدمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق منه ما يضايقه حتى كلمة (أف) ويدل ذلك على حسن معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنس رضي الله عنه، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا"[2]. عشر سنين لم يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك رضي الله عنه في أمر من الأمور، ولا يدل ذلك على أن أنس بن مالك رضي الله عنه لم يخطئ خلالها، إنما يدل على حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي موقف آخر مع جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حوار عن الزواج ومداعبة الزوجة، يقول جابر رضي الله عنه :كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، فلما قفلنا، تعجلت على بعير قطوف[3]، فلحقني راكب من خلفي، فالتفت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ما يعجلك" قلت: إني حديث عهد بعرس، قال: "فبكرا تزوجت أم ثيبا؟" قلت: بل ثيبا، قال: "فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك" قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل، فقال: "أمهلوا، حتى تدخلوا ليلا– أي عشاء– لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة– قال: وحدثني الثقة: أنه قال في هذا الحديث– الكيس الكيس يا جابر" يعني الولد[4].

([1]) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، حديث 2310.

([2]) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، حديث 2309.

([3]) القطاف تقارب الخطو في سرعة. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/ 84).

([4]) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب طلب الولد، حديث 5245، واللفظ له، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب نكاح البكر، حديث 715.

- **حسن استقبالهم والتبسم لهم:**

يصف لنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبله بقوله: "ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي"[1]. قال النووي في معناه: ما منعني الدخول عليه في وقت من الأوقات، و"تبسم" فعل ذلك إكراما ولطفا وبشاشة، ففيه استحباب هذا اللطف للوارد وفيه فضيلة ظاهرة لجرير[2].

- **مراعاة نفسياتهم والتهوين عليهم فيما يحزنهم:**

من حسن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم مع الشباب ورحمته بهم مراعاة ما يطرأ عليهم من ظروف والتخفيف عليهم في ما يصيبهم. لما توفي والد جابر بن عبد الله رضي الله عنه وحزن عليه جابر وازداد همه لما ترك والده من عيال ودين، لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم على هذ الحال، فقال له: "يا جابر، ما لي أراك منكسر؟" قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي، وترك عيالا ودينا ،قال: "أفلا أبشر، بما لقي الله به أباك؟" قال بلي: يا رسول الله، قال: "ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحا، فقال: يا عبدي، تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني، فأقتل فيك، ثانية، فقال الرب سبحانه وتعالى: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، قال :فأنزل الله تعالى: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169))** [آل عمران: 169]"[3].

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، حديث 3035. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ،حديث 3475.

([2]) انظر: شرح صحيح مسلم 16/ 35.

([3]) أخرجه ابن ماجة، أبواب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث 2800. وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/ 1309.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: ما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عن الدجال أكثر مما سألته عنه، فقال لي: "أي بني وما ينصبك[1] منه؟ إنه لن يضرك" قال قلت: إنهم يزعمون أن معه أنهار الماء وجبال الخبز، قال: "هو أهون على الله من ذلك"[2]. فالمغيرة بن شعبة رضي الله عنه حين أهمه أمر الدجال كثر سؤاله عنه خوفا منه، أدرك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك فأراد تهوين الأمر عليه فسأله قائلا: "أي بني، ما ينصبك منه" هو من النصب وهو التعب والمشقة أي ما يشق عليك ويتعبك[3]. وقوله: "إنه لن يضرك" تطمين من النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه بسلامته من فتنة المسيح الدجال، وقول النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة رضي الله عنه: "يا بني" تدل على حداثة سنة، وهكذا هم الشباب بحاجة إلى من يراعي نفسياتهم ويقف معهم في الأزمات.

- **إعانتهم عند الحاجة**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فأبطأ بي جملي وأعيا، فأتى علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "جابر"، فقلت: نعم، قال: "ما شأنك؟" قلت: أبطأ على جملي وأعيا، فتخلفت ،فنزل يحجنه بمحجنه[4] ثم قال: "اركب" فركبت، فلقد رأيته أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،... إلى أن قال: "أتبيع جملك" قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي، وقدمت بالغداة، فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد، قال: "الآن قدمت" قلت: نعم، قال: "فدع جملك، فادخل، فصل ركعتين "فدخلت فصليت، فأمر بلالا أن يزن له أوقية، فوزن لي بلال، فأرجح لي في الميزان، فانطلقت

([1]) جاء في لفظ البخاري: "ما يضرك منه".

([2]) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث 7122. ومسلم، كتاب الآداب، حديث 2152.

([3]) النووي، شرح صحيح مسلم 14/ 130.

([4]) المحجن: عصا معقوفه الرأس. (ابن الأثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/ 22).

حتى وليت، فقال: "ادع لي جابرا" قلت: الآن يرد على الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلى منه، قال: "خذ جملك ولك ثمنه"[1].

فجابر بن عبد الله رضي الله عنه حين تعب جمله وعجز عن المسير وتخلف عن القوم، كان في هذا الموقف بحاجة إلى من يعينه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انتبه لحاله وحاجته إلى المساعدة، وكان صلى الله عليه وسلم من رحمته بأصحابه يتفقدهم في المسير حتى لا يتخلف أحد أو ينقطع .سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جابرا رضي الله عنه عن سبب تأخره فأخبره فأعانه في ذلك حتى كان جمل جابر رضي الله عنه في مقدمة القوم، وزاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على ذلك أن اشترى الجمل من جابر رضي الله عنه وأتاح له ركوبه إلى المدينة ثم أعطاه الثمن وزاد فيه ورد عليه الجمل مع ذلك كله.

المطلب الثاني

مظاهر الرحمة في تعليم الأخلاق الحسنة والحث عليها والتحذير من ضدها

من الأخلاق الحسنة الالتزام بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في شؤون الحياة، ومن ذلك على سبيل المثال الالتزام بهدية صلى الله عليه وسلم عند النوم، ولنتأمل هنا كيف علم النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها وكانا حينئذ في سن الشباب– شيئا من آداب النوم، فقد جاء في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها، شكت ما تلقى من أثر الرحا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة رضي الله عنها فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة رضي الله عنها بمجيء فاطمة رضي الله عنها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا،

(1) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير، حديث 2097.

فذهبت لأقوم، فقال "على مكانكما". فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: "ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثا وثلاثين، وتحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم"[1].

في هذا الحديث عدد من مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها في أدب من آداب النوم، ومن تلك المظاهر ما يأتي:

الأول: يتمثل في مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها في منزلهما رغبة في دلالتها على الخير لا قصدا في تنفيذ طلب فاطمة رضي الله عنها، ولم ينتظر صلي الله عليه وسلم حتى تعود إليه مرة أخرى.

الثاني: عدم السماح لعلي وفاطمة بالقيام من فراشهما وترك لحافهما، بل جلس بينهما وأدخل رجليه معهما في اللحاف وربما كان الوقت شتاء بدليل أنهما قد تغطيا بقطيفة، كما أنهما قد شعرا ببرودة قدمي النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث: دلالتهما على ما هو خير لهما من الخادم، رغم ما كانت تلقاه فاطمة رضي الله عنها من العناء من جراء الطحين والسقاء، وهي فلذة كبد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن التسبيح والتحميد والتكبير نفعه متعد في الدنيا والآخرة، أما الخادم فنفعه في الدنيا، وهكذا تكون الرحمة الحقيقية في الأقربين بالحرص عليهم في أمور دينهم أكثر من الحرص عليهم في أمور دنياهم.

وكان لهذا التوجيه والرحمة والعطف من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأثر البالغ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان حريصا على المداومة على هذا الذكر، فلم يتركه منذ سمعه من

([1]) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث 3705. ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، حديث 2727.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يعبر عن ذلك فيقول: ما تركته منذ سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال ولا ليلة صفين[1].

وغض البصر عن النساء الأجنبيات أمر مطلوب، إلا أن الشباب قد يقع منهم خلاف ذلك، فالشباب معرضون لهذا الأمر أكثر من غيرهم نظرا لأن دافع الشهوة عندهم أشد من غيرهم، ومن الرحمة بهم تحذيرهم من هذا الأمر وأمرهم بغض البصر، ولم يغفل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر مع شباب الصحابة رضي الله عنهم، مع ما هم عليه من الورع والتقوى والخوف من الله عليه عز وجل، فقد أوصى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائلا: "يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة"[2].

ومن حرص شباب الصحابة رضي الله عنهم الله عنها علي السلامة من هذا الأمر نجد جرير بن عبد الله رضي الله عنه يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، عن جرير رضي الله عنه، قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري"[3].

المطلب الثالث

مظاهر الرحمة في تصويب الأخطاء في الأخلاق

حين يحصل من الشاب الخطأ فإن تقويم ذلك الخطأ وتصويبه يحتاج إلى رفق ورحمة وشفقة على الشباب مما وقعوا فيه، وإن الغلظة والشدة غالبا لا تجدي نفعا مع الشباب فعندهم الاعتداد بالنفس والانتصار لها، وربما تورث الشدة والغلظة معهم إلى ردة فعل لارتكاب أخطاء قد تكون أشد مما وقعوا فيه.

([1]) أخرجه البخاري، كتاب النفقات، باب خادم المرأة، حديث 5362. ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، حديث 80، واللفظ له.

([2]) أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب ما يؤمر له من غض البصر، حديث 2149. والترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في نظرة الفجأة، حديث 2777. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

([3]) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، حديث 2159.

ولقد ضرب لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمثلة رائعة بالرحمة والشفقة والعطف على المخطئ، مما كان له الأثر الإيجابي على المخطئ، فلنتأمل ذلك الموقف الجميل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذلك الفتى الأنصاري الذي جاء يستأذنه في الزنا.

فعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: "أدنه، فدنا منه قريبا" قال: فجلس. قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.[1]

لقد استعظم الصحابة رضي الله عنهم ذلك السؤال من هذا الفتى حتى أدى بهم ذلك إلى زجره عن هذا التصرف، إلا أن الرسول الرحيم بأمته كان على العكس من ذلك فقد أدناه منه دون زجر له أو تأنيب، لكن بحوار عقلي هادئ أدى بالفتى إلى إدراك ما وقع فيه من الخطأ، فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

ولنتأمل كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع شاب آخر هو الفضل بن عباس رضي الله عنه حين كان ينظر للمرأة الأجنبية وهو رديف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فقد

([1]) أخرجه الإمام احمد في المسند، حديث 22211. والبيهقي في شعب الإيمان، حديث 5032. وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم: "... وكان الفضل رجلا حسن الشعر أبيض وسيما، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر...."[1]. وتتمثل الرحمة هنا مع الفضل بن عباس رضي الله عنه باكتفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرف وجه الفضل بيده أكثر من مرة دون زجر أو تأنيب أو عقاب.

وجانب آخر من الرحمة في هذه القصة يتمثل بخشية النبي صلى الله عليه وسلم على الشاب والشابة من الشيطان، فقد ورد أن العباس بن عبد المطلب قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: "إني رأيت غلاما شابا، وجارية شابة، فخشيت عليهما الشيطان"[2].

وهذا التعليل من رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب صرف وجه الفضل من رحمته بذلك الفتى الشاب وتلك الفتاة الشابة. وقال النووي: فيه الحث على غض البصر عن الأجنبيات وغضهن عن الرجال الأجانب وهذا معنى قوله وكان أبيض وسيما حسن الشعر يعني أنه بصفة من تفتتن النساء به لحسنه، وفي رواية الترمذي وغيره في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل رضي الله عنه فقال له العباس رضي الله عنه لويت عنق بن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما فهذا يدل على أن وضعه صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل رضي الله عنه كان لدفع الفتنة عنه وعنها[3].

([1]) أخرجه مسلم، كتاب الحج، حديث 1218.

([2]) أخرجه الإمام احمد في المسند، حديث 564.

([3]) شرح صحيح مسلم 8/ 190.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الشباب دروسا في الرحمة حين يرى منهم شيئا من التقصير، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"... فدخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح[1] له، فلما رأي النبي صلى الله عليه وسلم حن، وذرفت عيناه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه[2]، وسراته[3]، فسكن، فقال: من رب هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة، التي ملكك الله إياها فإنه شكاك إلى، وزعم أنك تجيعه وتدئبه[4]"[5]. ففي هذا الموقف يعطي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم درسا للشباب في الرحمة بالبهائم، لأنه مع حداثة أسنانهم رما تجاوز بهم الأمر في عدم الإحسان إلى البهائم إما بإتعابها في استخدامها، أو بالتقصير في طعامها وشرابها ورعايتها.

وقريب من هذا الموقف ما حصل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه ومن معه حين أخذوا فراخ الحمرة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة[6] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها .ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا :نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"[7].

([1]) الناضح هي واحدة الإبل التي يستقي عليها. (ابن منظور، لسان العرب 2/ 619، مادة [نضح]).

([2]) الذفران هما أصل الأذنين. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر 2/ 161).

([3]) هو ظهر الجمل وأعلاه. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر 2/ 364).

([4]) أي: تكده وتتعبه. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/ 95).

([5]) أخرجه الإمام احمد، المسند 1/ 204. وأبو داود، السنن، كتاب الجهاد، رقم الحديث 2549. وقال الألباني في "صحيح سنن أبي داود" 2/ 458: صحيح.

([6]) طائر صغير كالعصفور. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1/ 439) .

([7]) رواه أبو داود، السنن، كتاب الأدب، رقم الحديث 5268. وقال الألباني في "صحيح سنن أبي داود" 2/ 509: صحيح.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد تسليما كثيرا، أما بعد: فإن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين، وتمثلت رحمته صلى الله عليه وسلم في كل جوانب حياته ودعوته، ومن تلك الجوانب توجيهاته صلى الله عليه وسلم للشباب، تلك المرحلة الهامة والحساسة من حياة الإنسان، والتي يحتاج فيها الشباب إلى عناية خاصة في توجيههم لما فيه صلاحهم، ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مواقف عدة مع شباب الصحابة رضي الله عنهم ،وتوجيهه إياهم في العقيدة والعبادة والأخلاق، وكذلك كيفية تصويبه لما يقعون فيه من الأخطاء، ولقد كانت الرحمة ظاهرة في تلك التوجيهات بمظاهرها المتعددة، وتناول البحث نماذج من تلك المظاهر، وما نتج عن ذلك المنهج النبوي الكريم من آثار إيجابية على الشباب.

ومن أهم نتائج البحث ما يأتي:

1. أن الشباب بحاجة إلى الرحمة والشفقة في توجيههم إلى ما فيه صلاحهم، لما فيهم من الخصائص، وإن استشعارهم لهذا الأمر له أثر كبير في نفسياتهم للاستجابة للتوجيهات.
2. حين يخطئ الشباب فليس من الحكمة مواجهتهم بشدة وغلظة. بل يحتاجون إلى الرحمة والعطف، فهم في مرحلة قد تغلبهم فيها عواطفهم وشهواتهم، فإن الغلظة والشدة معهم قد تورث ردود فعل ينتج عنها أخطاء أخرى قد تكون أشد من الأولى.
3. إن الرحمة لا تتمثل دائما في مظهرها بالرقة والعطف، بل قد تتمثل بالشدة رحمة بهم وخوفا عليهم مما هو أعظم، كما في حديث أسامة.
4. كانت توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشباب سواء في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق تتصف بالرحمة والشفقة على الشباب.

5. عني النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة بتحذيرهم من الفتن.
6. كان النبي صلى الله عليه وسلم يغلب جانب الرحمة والشفقة على الشباب في حال تقويم أخطائهم مع مراعاة نوع الخطأ وحال المخطئ.

وأما ما يمكن ذكره من توصيات فهي على النحو الآتي:-

1. على الدعاة إلى الله والمربين المعنيين بالشباب تغليب جانب الرحمة في توجيهاتهم للشباب، والاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.
2. وكذلك على المعنيين بتوجيه الشباب حين معالجة الأخطاء أن يغلبوا جانب الشفقة والرحمة لهم وإشعارهم بذلك، والبعد عن أسلوب العنف والتوبيخ والتقريع الذي يضر ولا ينفع.
3. العناية بدارسة مظاهر الرحمة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الآخرين وإبراز الصور المشرقة في ذلك ونشرها للعالم.

جدول شباب الصحابة الوارد ذكرهم في البحث[1]:

الاسم	تاريخ الوفاة[2]	العمر	العمر عند الهجرة[3]	ملاحظات
أسامة بن زيد	54			
أنس بن مالك	91 أو 92 أو 93		10	قال عن نفسه: "قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة"
البراء ابن عازب	72	82	10 تقريبا	
جابر بن عبد الله	78	94	46	
جرير بن عبد الله	54			
عبد الرحمن بن سمرة	50			أسلم يوم الفتح

(1) هذا الجدول هو جزء من جدول تفصيلي لشباب الصحابة رضي الله عنهم أدرجته في نهاية كتابي: المنهاج النبوي في دعوة الشباب. وذكرت المراجع هناك.

(2) من كانت وفاته سنة ثلاثين فأكثر يعد وقت الهجرة شابا، لأن الأصل في أعمار هذه الأمة بين الستين والسبعين. فلو أخذنا السبعين لقلنا: 70- 30= 40.

(3) ولا يعني أن كل من ذكر كان مسلما وقت ذاك بل بعضهم أسلم بعد الهجرة كأبي هريرة مثلا.

عبد الله بن عمرو	65	72	7	
عبد الله بن مسعود	32	60	28	قال عنه نفسه وقت إسلامه: "كنت غلاما يافعا".
علي بن أبي طالب	40	63	23	
فاطمة	11			توفيت شابه بعد وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم بأشهر
الفضل بن عباس	في خلافة أبي بكر			كان في حجة الوداع شابا
مالك بن الحويرث				وصف نفسه وأصحابه في حديثه بأنهم شببة متقاربون
معاذ بن جبل	17	34	17	توفي شابا
المغيرة بن شعبة	50			قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أي بني"
أبو موسى الأشعري	42	نيف وستون	فوق العشرين قليلا	
أبو هريرة	57	78	21	

فهرس المصادر والمراجع

1. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، (دار النفائس، بيروت).
2. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ط1 (مطبعة السعادة، مصر، 1328هـ).
3. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، ط1 (دار الحياة، بيروت، 1406هـ).
4. التحرير والتنوير، والطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور نشر (الدار التونسية للنشر، تونس 1984م).
5. تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق الدكتور محمد عبد العزيز بسيوني، ط1 (جامعة طنطا، كلية الآداب، 1420هـ).
6. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، نشر (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).
7. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير، (دار الفكر).
8. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، نشر (دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ).
9. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، نشر(مؤسسة الرسالة، 1420هـ).
10. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ط1 (مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ).

11. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، نشر (دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي).

12. سنن أبي داود السجستاني، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، ط1 (دار الحديث، بيروت، 1388هـ).

13. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: احمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط2 (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، 1395هـ- 1975م).

14. شرح صحيح مسلم، النووي، ط2 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ).

15. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، ط1 (دار الرشد، الرياض، 1423).

16. الصحاح، الجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ط3 (دار العلم للملايين، بيروت، 1404هـ).

17. صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط1 (المطبعة السلفية، القاهرة، 1400هـ).

18. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط1 (المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ).

19. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط1 (المكتب الإسلامي، بيروت، 1409هـ).

20. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ،1400 هـ).

21. الطبقات الكبرى، ابن سعد، (دار الفكر، بيروت).

22. الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ط2 (دار المعرفة، بيروت).

23. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر (رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض).

24. عمدة القاري، بدر الدين العيني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

25. لسان العرب، ابن منظور، نشر (دار صادر، بيروت).

26. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الملا الهروي القاري، (دار الفكر، بيروت، 1422 هـ).

27. مسند الإمام احمد، ط5 (المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ).

28. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط1 (دار إحياء التراث، القاهرة، 1368هـ).

29. المنهاج النبوي في دعوة الشباب، سليمان بن قاسم العيد، ط1 (دار العاصمة، الرياض، 1415هـ).

30. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط1 (عيسى الحلبي، 1383هـ).

31. نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، (مصطفى البابي الحلبي، مصر).